المقاصد النفسية في السنة النبوية
- دراسة أصولية تحليلية في
ضوء مقصد حفظ النفس -

The Psychological Maqāṣid in the Prophetic Sunnah: An Uṣūlī Analytical Study in Light of the Maqṣid of Preserving Life

الباحث: د. أوميد محمدأمين مصطفى

Dr. MOED MOHAMMED AMIN MUSTAFA

مديرية تربية السليمانية

ameinomeed@yahoo.com

الباحث: د. جلال جمال غفار

Dr.JALAL JAMAL GHAFAR

جامعة السليمانية، كلية العلوم الاسلامية

Jalal.jamal@univsul.edu.iq



ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف الأبعاد النفسية لمقصد حفظ النفس في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، من خلال تحليل النصوص النبوية التي تُعنى بصيانة النفس من جهة تكوينها الداخلي، لا سيما ما يتعلق بجوانبها النفسية والمعنوية، وليس مقتصرة فقط على سلامتها الجسدية، واعتمدت الدراسة منهجًا أصوليًا تحليليًا يجمع بين تأصيل المفهوم من خلال المقاصد العامة للشريعة، وبين تحليل نصوص نبوية مختارة تُعبّر عن عناية السنة بالمكونات النفسية للإنسان، مثل: معالجة القلق، والتخفيف من الاكتئاب، كما تناول البحث التمايز بين حفظ النفس بالمعنى الجسدي، وحفظ النفس بالمعنى النفسي، مؤكدًا أن المقصد الأخير حاضر بوضوح في التوجيهات النبوية، بما ينسجم مع الكليات الخمس ومقاصد الشريعة في جلب المصالح ودرء المفاسد.

Abstract

This study seeks to explore the psychological dimensions of the objective of preserving the self (hifz al-nafs) in light of the higher objectives (maqasid) of Islamic law, It does so by analyzing Prophetic texts concerned with safeguarding the self in terms of its inner composition —particularly its psychological and moral aspects— rather than being limited to physical well-being alone. The study adopts an analytical, jurisprudential methodology that combines grounding the concept within the broader objectives of Islamic law and analyzing selected Prophetic texts that reflect the Sunnah's care for the psychological components of the human being, such as addressing anxiety and alleviating depression. The research also examines the distinction between preserving the self in the physical sense and preserving it in the psychological sense, emphasizing that the latter is clearly present in Prophetic guidance, in harmony with the Five Essentials (al-kulliyyat al-khams) and the objectives of Islamic law in promoting benefits and preventing harms.

المقدمة

يُعَدُّ مقصد حفظ النفس من الكليات الخمس التي اتفقت عليها الشريعة الإسلامية، غير أن معظم الدراسات المقاصدية ركزت على الجانب الجسدي، بينما ظل البعد النفسي بحاجة إلى تأصيل علمي، فتزايد الحاجة إلى التوازن الداخلي للإنسان، يدعو إلى قراءة مقاصدية للنصوص النبوية ذات البعد النفسي، للوقوف على ملامح العناية التشريعية بصحة الإنسان النفسية، وليس الجسدية فحسب.

إشكالية البحث: وتُطرح في هذا السياق إشكالية مركزية مفادها: إلى أيّ مدى تُسهم السنة النبوية في بيان المقاصد النفسية ضمن مقصد حفظ النفس؟

تبرز أهمية هذا البحث في كونه: يكشف عن الأبعاد النفسية لمقصد حفظ النفس في السنة النبوية، ويسدّ فراغًا في الدراسات الأصولية المعاصرة، ويقدم رؤية تكاملية بين الشرعي والنفسي.

أهداف البحث: يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- تأصيل المفهوم النفسي لمقصد حفظ النفس.
- تحليل النصوص النبوية الدالة على العناية بالجانب النفسي.
- بيان إمكانية توظيف هذه المقاصد في العلاج النفسي.

خطة البحث: جاء البحث في تمهيد ومبحثين رئيسيين وخاتمة، على النحو التالي:

التمهيد: التعريف بمصطلحات العنوان وضبط المفاهيم الأساسية.

المبحث الأول: التأصيل الأصولي للمقاصد النفسية في ضوء السنة النبوية.

المبحث الثاني: المقاصد النفسية في السنة النبوية –رؤية تحليلية في ضوء الواقع المعاصر.

وخاتمة: تشتمل على أبر النتائج التي توصل إليها البحث، مع التوصيات التي يقدمها البحث.

التمهيد:

التعريف بمصطلحات العنوان وضبط المفاهيم الأساسية.

المطلب الأول: في مفهوم المقاصد النفسية.

أولا: تعريف المقاصد لغة واصطلاحًا:

١- المقاصد في اللغة: المقاصد جمع مقصد، مأخوذ من فعل (قَصَدَ)، يقال: قَصدَ- يقصِد-قصداً- ومَقصداً، والمقصدُ مصدر ميمي[١]، فقد ورد كلمة القصد في اللغة بمعان كثيرة، منها[٢]: استقامة الطريق، ومنها: العدل والتوسط، وعدم الإفراط والتفريط، من ذلك قول النبي (ﷺ): ((لقصدَ القصدَ تبلُغوا))[٣]، ومنها: الاعتماد والتوجه نحو الشيء على اعتدال أو جور، يقال: أقصده السهم إذا أصابه، ويقال: قصدتُ قصداً، أي نحوتُ نحوه[٤].

٢- المقاصد اصطلاحاً: لم يُعرف استخدام هذا المصطلح ولا تعريفه لدى المتقدمين، وإنما ورد التعبيرات عنه ضمناً، وكان المقصود به عند استعماله هو مقاصد الشريعة، وقد نرى أن المقاصد عند أكثرهم مقصور في جلب المصالح ودرأ المفاسد[٥]، ولسنا بصدد الخوض هنا في التعريفات المتعددة لمقاصدالشريعة، إذ إن معظم ما ورد في هذا السياق يدور حول معنى واحد، وإنما نروم الوقوف على المعنى الاصطلاحي المستنبط من الدلالات اللغوية.

إذن لو أردنا تعريف المقاصد المجردة عن إضافتها إلى الشريعة، وتنسجم مع المعنى اللغوي فإن التعريف المناسب في ذلك قد يكون هكذا: هي الأهداف والغايات التي يتجه إليها الفعل أو يُراد تحقيقها من خلاله.

وهذا التعريف يناسب الاستعمالات الاصطلاحية العامة قبل تقييدها بالشريعة، وينسجم مع المعنى اللغوي ل «قصد» من حيث كونه التوجه نحو غاية معينة.

ثانيا: النفس في التصور الإسلامي (مفهومها، منزلتها).

١- النفس في اللغة: يُطلق ويراد بها عدة معان: منها: عين الشيء، جاء نفسه، أي عينه، ومنها: السعة،

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، للقزويني، (٥/ ٩٥).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، الهروي(٨/ ٢٧٤)؛ لسان العرب، ابن منظور(٥/ ٣٦٤٢)؛ القاموس المحيط، الفيروزآبادى(١/ ٣١٠)؛ وتاج العروس، للزبيدي(٩/ ٣٥).

(٣) أخرجه البخاري(٥/ ٢٣٧٣).

(٤) ينظر: لسان العرب(٥/ ٣٦٤٢)؛ وتاج العروس(٩/ ٤٣)؛ والمعجم الوسيط(٢/ ٧٣٨).

(٥) المستصفى(١/ ٤١٦).



ومنه شراب ذو نفس، أي ذو سعة، والنفيس: المال الكثير، ومنها: الروح، قولك: خرجت منه، أي روحه، ومنها: جملة الشيء وحقيقته، ومنها: بالمجاز تعني الدم، يقال: سال نفسه، أي دمه[١].

والنفسية: اسم مؤنث منسوب إلى النفس، أي الحالة العامة في الإنسان الناتجة عن مجمل ما انطوت عليه نفسه من ميول، ونزعات وانطباعات ومشاعر[٢].

٢- النفس في الاصطلاح: عرّفها العلماء بتعريفات مختلفة، ومرد اختلافهم راجع إلى اختلاف الأغراض التي اتجهوا إليها، فمثلاً: علماء الاجتماع عرّفوها وقالوا: «هي ذلك الكل المركب من الجسد والروح، والذي تُطلق عيه أحياناً الذات، أو الأنا، وهي تحمل سمات الجسم والروح»[٣].

وفي علم النفس -الطب النفسي- «هو فرع من العلوم يبحث في السلوك والخبرة والأفعال والعمليات العقلية للإنسان»[٤].

ويعرّفها الجرجاني بأنها: الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية[٥].

ويبدو في مجمل العبارات كلها أنها تدل على الخفايا الإنسانية وما يجول في خواطر الناس من مشاعر وأفكار وإرادة وما تدفعه إلى السلوك والتصرفات.

٣- مفهوم النفس في تصور القرآن والحديث: النفس في القرآن والسنة هي أساس وجود الإنسان وقوة دافعة له في الخير والشر، وقد وردت كلمة النفس في القرآن والسنة -بجميع مشتقاتها- أكثر من ثلاث مئة مرة[٦]، فهناك دلالات كثيرة مختلفة للنفس في القرآن والسنة، منها[٧]:

أ- الذات الإلهية، والمقصود بالذات الصفات العظيمة التي يتصف بها سبحانه، ومنه قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ (آل عمران:٢٨)، أي يحذركم نقمته في مخالفته وسطوته وعذابه لمن والى أعداءه[٨].

ب- الذات الإنسانية ومراتبها وأصلها، ومنه قوله تعالى: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم﴾

(١) ينظر: القاموس المحيط، فيروز آبادي(ص٧٤٦)؛ وتاج العروس، للزبيدي(٤/ ٢٦٠)؛ والصحاح، للجوهري (٣/ ٩٨٤)

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار(٣/ ٢٢٥٦).

(٣) ينظر: النفس في القرآن الكريم، عزت الطويل(ص٥٥)؛ والإنسان والنفس في ضوء الكتاب والحديث، -قاروت(ص٨٢).

(٤) الطب النفسي، د.حسان قمحية(ص٢).

(٥) التعريفات(ص٣١٢).

(٦) ينظر: المعجم المفهرس، فؤاد عبد الباقي(ص٨٨١).

(٧) ينظر: ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، زين حسين(ص٣٠).

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(١/ ١٤٥).

(النور:٦١)، أي وجوب تسليم المسلم على الأهل، فهم في منزلة النفس، وقد وردت في الحديث بهذا المعنى، حيث يقول النبي(ﷺ): ((مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسُرُّهَا أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا، وَلاَ أَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلاَّ الشَّهِيدُ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ))[١].

ج- الأصل البشري، ومنه قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ (النساء:١).

د- القلب أو الضمير، ومنه قوله: ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ (ق:١٦).

ه- الروح، وسميت النفس روحاً لحصول الحياة بها.

ثالثا: المقاصد النفسية: المقصود بها، وارتباطها بالمقاصد الكلية.

١- المراد بالمقاصد النفسية والمقصود بها: لم يرد -حسب اطلاعي- تعريف اصطلاحي دقيق لهذا المصطلح في كتب المتقدمين، وإنما يمكن استنباط معناه وبيان حدّه من خلال الجمع بين مفهوم المقاصد في الشريعة من جهة، ومفهوم النفس في ضوء استعمالاتها اللغوية والقرآنية من جهة أخرى، إذن في ضوء تعريف هذين المصطلحين -المقاصد والنفس- يمكن أن نعرف المقاصد النفسية بأنها: هي الغايات التي راعتها الشريعة لتحقيق الصحة النفسية والروحية للإنسان، وحفظها من الأمراض النفسية والخلقية، وتوجيهها نحو الطمأنينة والاستقرار الداخلي.

والمقصود بها هي حفظ النفس روحياً ومعنوياً، ودفع القلق وتسكين الآلام النفسية الناتجة عن الابتلاءآت أو ضغوط الحياة.

٢- ارتباط المقاصد النفسية بالمقاصد الكلية: ترتبط المقاصد النفسية بالمقاصد الكلية بشكل وثيق، فالمقاصد النفسية يمكن أن تكون جزءاً من المقاصد الكلية، فالأهداف والغايات الفردية التي يطمح إليها الفرد لتحسين حياته يمكن أن تسهم في تحقيق الأهداف الكلية للأمة، وقد تشمل الأهداف في المقاصد النفسية تطوير الذات وتحقيق الرضا الداخلي، أما الأهداف في المقاصد الكلية هي تحقيق الأمن، وترسيخ القيم الأخلاقية، فالمقاصد النفسية والمقاصد الكلية متكاملة ومتفاعلة، ويجب أن تكون متوافقة لضمان تحقيق الأهداف الفردية والتوازن في المجتمع[٢].

(١) أخرجه مسلم(٦/٣٥).

(٢) ينظر: علم المقاصد الشرعية، الخادمي(ص٧٤)؛ وكليات مقاصد الشريعة، د. حسن سلمان، ٢٦/٨/٢٠٢٢.

المطلب الثاني: السنة النبوية ومكانتها في بناء المنظومة المقاصدية.

أولا: تعريف السنة النبوية لغة واصطلاحاً.

١- معنى السنة لغة: للعلماء أقوال كثيرة في المعنى اللغوي لها، منها: الطريقة المستقيمة المحمودة، يقال: سنّ فلانٌ طريقا من الخير يسنّه، إذا ابتدأ أمراً من البر، لم يعرفه قومه فاستنوا به وسلكوه[١]؛ ومنها: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة، وقال الراغب: وسنة الله قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته[٢].

٢-السنة في اصطلاح العلماء: عرَّفها علماء الشريعة بتعريفات متقاربة في المعنى، وإن اختلفت في ألفاظها ومبانيها، ومرد اختلافهم في تعريفها راجع إلى اختلاف الأغراض التي اتجهوا إليها من أبحاثهم، فمثلاً: علماء أصول الفقه عنوا بالبحث عن الأدلة الشرعية، وعلماء الحديث عنوا بنقل ما نسب إلى النبي r، وعلماء الفقه عنوا بالبحث عن الأحكام الشرعية من فرض وواجب ومكروه ومندوب، والمتصدرون للوعظ والإرشاد عنوا بكل ما أمر به الشرع أو نهى عنه، لذلك اختلف المراد من لفظ السنة عندهم[٣].

فعند الأصوليين: «هي ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير»[٤].

وفي اصطلاح الفقهاء: «ما كان فعله راجحاً على تركه، ولا إثم في تركه»[٥].

وفي العقائد وأصول الدين: «تطلق السنة ويراد بها ما يقابل البدعة»[٦].

ومن مجموع التعريفات نخلص إلى أن السنة لفظ عام يطلق على «كل ما تلفظ به الرسول ﷺ ما عدا القرآن، من ابتداء رسالته إلى نهاية حياته، سواء أثبت حكماً عاماً لسائر أفراد الأمة، أم أثبت حكماً خاصاً به ﷺ، أو خاصاً ببعض الصحابة، وسواء أكان فعله جبلياً أو كان غير جبلي»[٧].

ثانيا: دور السنة في بيان وتفصيل المقاصد[٨]:

السنة النبوية لها دور حيوي في بيان مقاصد الشريعة، فهي المصدر الثاني بعد القرآن، وقد تبيّن ما كان مبهما في القرآن، فالسنة تساعد في فهم أبعاد التشريع، وتبيّن أهداف الشريعة في كل جانب من جوانب

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري(١٢/ ٢١٠)
(٢) مفردات ألفاظ القرآن،(ص٤٢٩).
(٣) الحديث والمحدثون، محمد أبو زهو(١/ ٩).
(٤) شرح التلويح على التوضيح، التفتازاني(٢/ ١٠٢)؛ وإرشاد الفحول، الشوكاني(١/ ٩٥).
(٥) كفاية النبيه في شرح التنبيه، ابن الرفعة(١/ ٢٤٢،٢٤١)؛ وروضة الطالبين، النووي(١/ ٣٢٧)
(٦) الموافقات، للشاطبي(٤/ ٢٩٠)
(٧) غاية الوصول في شرح لب الأصول، زكريا الأنصاري(١/ ٩٦).
(٨) علم مقاصد الشرعية، للخادمي(ص٣٤).

الحياة، وقد تذكر السنة المقاصد لبعض الأحكام التي لم يرد ذكرها في القرآن، ففهم الحديث بمعزل عن المقاصد قد يؤدي إلى فهم خاطئ؛ لذا فهم المقاصد ضروري لفهم النصوص النبوية.

-أمثلة على دور السنة في بيان المقاصد:

– لحوم الأضاحي: فقد ورد في الحديث تحريم إدخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فقالr: ((لَا يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْ لَحْمِ أُضْحِيَّتِهِ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ))(١)، والمقصد في ذلك التوسعة على الدافة، -مساكين نزلوا المدينة-، وإنما أصدره ﷺ مراعاة للظروف الإقتصادية أو التموينية التي عاشتها المدينة لكثرة من وفد عليها من القبائل في ذلك الفترة، ولأجل الرأفة التي وجبت عليهم ليطعموا الجياع؛ لأن إطعامهم واجب، وفي الثاني ينقض الحكم الأول مراعاة لأحوال الناس(٢).

فقد فهمت عائشة(رضي الله عنها) على أن الأمر يدور مع العلة، ولم يقصد الرسول(ﷺ) تحريمها أبدا، فحينما سُئلت عنها، هل النبي ﷺ نهى عن ادخار لحوم الأضاحي؟ قَالَتْ: ((مَا فَعَلَهُ إِلاَّ فِي عَامٍ جَاعَ النَّاسُ فِيهِ فَأَرَادَ أَنْ يُطْعِمَ الْغَنِيُّ الْفَقِيرَ))(٣).

ثالثا: أمثلة على استنباط المقاصد من السنة: يمكن استنباط المقاصد من السنة من خلال عدة أمثلة، منها(٤):

أ- الاستئذان والمقصود منه: فقد ورد في الحديث أن النبي(ﷺ) قال: ((إِنَّمَا جُعِلَ الاِسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ))(٥)، والمقصود منه هو حفظ كرامة الناس، وحرمة النظر إلى عوراتهم أو ما يكرهون الاطلاع عليه.

ب- منع الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها والمقصود من ذلك: فقد ورد في ذلك قوله(ﷺ): ((لاَ يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلاَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا))(٦)، فقصد الرسول في ذلك حفظ الأنساب وسلامتها ودوام صلتها واستمرارها.

(١) أخرجه البخاري(١٨/ ٤١٩)؛ ومسلم(٣/ ١٥٦٠).
(٢) تصرفات الرسول بالإمامة، عثماني(ص ٧٠)
(٣) أخرجه البخاري(١/ ٢٧٩٧).
(٤) علم المقاصد الشرعية، الخادمي(ص ٣٤).
(٥) أخرجه البخاري(١/ ٣١٣٨).
(٦) أخرجه البخاري(٥/ ١٩٦٥).

المطلب الثالث: مقصد حفظ النفس، التأصيل والوظيفة.

أولا: حفظ النفس ضمن الضروريات الخمس:

الضروريات الخمس -الدين والنفس والعقل والعرض والمال- هي المبادئ الأساسية التي جاءت الشريعة بحفظها، وحفظ النفس هو أحد الضروريات الخمس في الإسلام، وهو يعني حماية الإنسان من الهلاك والقتل، وحرمة الانتحار وقتل النفس، وإباحة المحضورات في حالة الضرورة ليحفظ نفسه من الهلاك.

فالشريعة الإسلامية عنيت بالنفس عناية كبيرة، فشرعت من الأحكام ما يجلب لها المصالح ويدفع عنها المفاسد؛ لأنه بتعريض الأنفس للهلاك والضياع يفقد المكلف الذي يتعبد لله تعالى، وذلك يؤدي إلى ضياع الدين(١).

وجاءت الشريعة بحفظ النفس من عدة أوجه(٢):

١- حرمت القتل وأوجبت القصاص في القتل عمدًا، بل حرمت الإشارة بالسلاح إلى النفس المعصومة.

٢- أوجبت الدية في قتل النفس شبه العمد، والخطأ، وأوجبت الكفارة المغلظة في قتل النفس شبه العمد أو الخطأ .. إلخ.

٣- حرمت الانتحار والاعتداء على النفس، وجعل الشارع عقوبة المنتحر الخلود في النار.

٤- حرمت الجناية على مادون النفس.

٥- تحريم القتل المعنوي: ويتمثل في ضياع الشخصية، وكذلك المحافظة على العزة والكرامة في الحياة، فالإنسان يدفع روحه ثمناً لضمان العيش الكريم.

ثانياً: صلة مقصد حفظ النفس بالمقاصد النفسية:

وقد بيّنا سابقاً أن المقاصد النفسية لها علاقة وثيقة وارتباط قوي بالمقاصد الكلية، فالمقاصد النفسية يمكن أن تكون جزءاً من المقاصد الكلية، والصلة أيضاً بين مقصد حفظ النفس والمقاصد النفسية هي نفس العلاقة، فالمقاصد النفسية تمثل السعادة والراحة النفسية والهدوء، وهي جزء من حفظ النفس، فالنفس السليمة هي التي تتمتع بهذه المقاصد، وهي التي تساهم في حفظ الروح والجسم من الأضرار والأمراض،

---

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، اليوبي(ص٢١١).

(٢) ينظر: العقد الثمين في شرح منظومة العثيمين، خالد المشيقح(ص٤٩)؛ ومقاصد الشريعة الإسلامية، عمر -، (ص٣٢٦).

وقد أشرنا من قبل إلى أن حفظ النفس وهو أحد مقاصد الشريعة الإسلامية الأساسية، ويشمل الحفاظ على الحياة، والمقاصد النفسية هي الغايات التي راعتها الشريعة لتحقيق السعادة والراحة النفسية والشعور بالسلام الداخلي.

إذن أن المقاصد النفسية هي جزء لا يتجزأ من حفظ النفس، وهي تلعب دوراً حيوياً في حفظ النفس، فالحفاظ على صحة النفس يساعد على الحفاظ على صحة الجسم، كما أن النفس التي تعاني من القلق أو الاكتئاب قد تكون أكثر عرضة للإصابة بالأمراض الجسدية، فاسعادة النفسية تزيد من القدرة على مواجهة الصعوبات، وتساعد على تقوية جهاز المناعة، والراحة النفسية أيضاً تساعد على استرخاء العضلات وتقليل التوتر وتحسين النوم، ويقلل من خطر الإصابة بأمراض القلب والضغط(١).

المبحث الأول:
التأصيل الأصولي للمقاصد النفسية في ضوء السنة النبوية.

المطلب الأول: أسس الاستدلال المقاصدي على المقاصد النفسية في السنة:

لا يقتصر الاستدلال المقاصدي على علل الأحكام أو كليات الشريعة، بل يشمل المعاني الدقيقة الكامنة في ثنايا النصوص، وهو ما يؤكده قول الشاطبي: «فإذا كان لا يحصل إلا بحصول الجزئيات، فالقصد الشرعي متوجه إلى الجزئيات... فانحتم القصد إلى الجميع، وهو المطلوب»، فقد بيّن الإمام الشاطبي أن النظر المقاصدي يتجاوز ظاهر النصوص ليستوعب مقاصدها الكلية وجزئياتها المعنوية؛ لأن إهمال الجزئيات يُخل بالكليات، ومن هذه الجزئيات: المعاني النفسية التي تتكشف بالتأمل في الهدي النبوي (ﷺ)(٢).

وتتجلى أسس هذا الاستدلال في الجمع بين دلالات النصوص الجزئية والمقاصد الكلية، بتفسير الأحاديث ذات السياقات النفسية تفسيرًا مقاصديًا يربط النص بمعناه الغائي، ويؤيد ذلك ما قرره ولي الله الدهلوي في شرحه لحديث ((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ))(٣)، إذ أوضح أن الأثر الحقيقي للعمل إنما يتحقق إذا صدر عن قصد غائي يهدف إلى تهذيب النفس، لا عن مجرد عادة أو تقليد(٤).

(١) ينظر: المقالة: الصحة النفسية والجسدية نصائح فعالة لتحقيق التوازن، إصدار: موقع الموسى الصحية، ٢٠٢٥م.
(٢) ينظر: الموافقات، الشاطبي(٢/ ٩٧).
(٣) أخرجه البخاري(١/ ٦).
(٤) حجة الله البالغة، الدهلوي(١/ ٢٩٣).

ويتفرع عن ذلك ثلاث أسس منهجية للاستدلال:

أولًا: دلالة النصوص على المعاني النفسية:

تتجلّى في السنة النبوية منظومة نفسية تربوية متكاملة، تعكس فهمًا عميقًا للنفس الإنسانية، لا في ظاهر الألفاظ فحسب، بل في مضامين النصوص وسياقاتها المتنوعة، فقد اشتملت أحاديث النبي(ﷺ) على صور متعددة من الانفعالات الإنسانية، مقرونة بتوجيهات تهدف إلى تهذيب الشعور وضبط الانفعال، مما يُبرز اهتمامًا أصيلاً بالجانب النفسي في البناء الأخلاقي والتربوي، ومن ذلك قوله(ﷺ) ((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الْفَاحِشِ وَلاَ الْبَذِىءِ))، وهو حديث يربط بين كمال الإيمان وحُسن السلوك، ويُظهر أن الطعن واللعن والبذاءة لا تليق بشخصية المؤمن؛ لما فيها من تقويض لمقاصد الرحمة والألفة التي وصف الله بها المؤمنين[1].

وتدلّ هذه النصوص على أن المعاني النفسية ليست عرضًا خارجيًا، بل جزء من المقاصد التربوية للسنة، كما تُظهر السنة النبوية ملامح مقاصدية في التعامل مع الحالات النفسية المرتبطة بالهوية، والكرامة، والتقدير الذاتي، كما في قصة أبي ذرّ مع غلامه، حين قال له النبي(ﷺ): ((إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ...))[2]، ففي هذا الحديث نجد معالجة نبوية راقية لمشاعر الاستعلاء والتمييز، إذ ينهى النبي(ﷺ) عن التفاخر بالأنساب أو التعيير بأحوال الآباء، معتبراً ذلك من بقايا الجاهلية، في تأكيد على أن الإيذاء اللفظي القائم على الهوية يولد جراحًا نفسية تهدم مقاصد الأخوّة والمساواة، ومن هنا تتجلّى مقاصد نبوية تُعنى بكرامة النفس وصونها من الانكسار المعنوي[3].

وتُعدّ هذه المعالجة دليلاً على أن السنة تزاوج بين النص والواقع، وبين التشريع وحالة النفس مما يتطلب من الأصولي والمقاصدي استحضار المنظور النفسي عند تفسير النص، والربط بينه وبين المقاصد العليا في التزكية وبناء الإنسان.

كما تعكس النصوص النبوية إدراكًا نبويًا للخصائص النفسية الفطرية لدى الإنسان، وهو ما يتجلّى بوضوح في قوله (ﷺ) لأشجّ عبد القيس: ((إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ، الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ))[4]، فالنبي(ﷺ) لم يكتف بوصف خُلقي، بل أقرّ بجبلّية هذين الخلقين، ما يشير إلى أن الصفات النفسية الإيجابية ليست فقط

---

(١) ينظر: البدرُ التمام شرح بلوغ المرام المَغرِبي(١٠/٣٢٢).

(٢) أخرجه البخاري(١/١٥).

(٣) ينظر: شَرَحُ صَحِيح مُسْلِمِ، السبتي(٥/٤٣٣).

(٤) أخرجه مسلم(١/٣٦).

مكتسبة، بل قد تكون مزروعة في التكوين الإنساني، وأن التشريع يعترف بها ويوجهها.

وهذا الحديث يكشف عن بُعد فطري في بناء الأخلاق النفسية؛ فالخلق جِبِلّة في نوع الإنسان، وهم في ذلك متفاوتون، فمن غلب عليه شيء منها، فإن كان محمودًا فهو الحسن، وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودًا، وكذا إن كان ضعيفًا فيرتاض صاحبه حتى يقوى، وهو ما ينسجم مع مقصد التزكية في الشريعة باعتباره ترقية لما هو أصيل في النفس لا إلغاءً له[1].

ثانيًا: الاعتبار بالمآل والعرف والحال في استنباط المقاصد النفسية.

يُعدّ فهم النصوص النبوية في ضوء المآلات والعُرف وأحوال المخاطَبين من الأُسس المنهجية التي تُسهم في استنباط المعاني النفسية الخفية وراء التوجيه النبوي، فالنبي(ﷺ) لم يكن يُخاطب الناس بنصوص مجرّدة، بل كان يتعامل مع نفسيّات مختلفة، في أحوال متباينة، ضمن بيئة ذات أعراف راسخة، متنبّهًا لما تؤول إليه الأفعال من أثرٍ شعوري وسلوكي، وقد تقرر في علم الأصول أن النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا، سواء كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وهذا ما بيّنه الشاطبي في الموافقات، مما يعني أنّ المقصد النفسي لا يُستخلص من ظاهر القول فحسب، بل من نتائجه النفسية والسلوكية المتوقعة أيضًا، سواءً أكانت تلك النتائج إيجابية أم سلبية[2].

ويتجلّى هذا الاعتبار جليًّا في موقفه(ﷺ) من عبد الله بن أُبيّ، رأس المنافقين، حين قال عمر بن الخطاب: ((يا رسولَ اللهِ مُرْ عَبْدَ اللهِ بنَ أُبَيٍّ أن يُقتلَ، فقال: لا، لا يتحدث الناسُ أن محمدًا يقتلُ أصحابَه))[3]، فقد امتنع(ﷺ) عن قتله، رغم فساده البيّن، مراعاةً لأثر هذا القرار على وجدان المجتمع، ودرءًا لتهمة تُزعزع ثقة الداخلين في الإسلام، وتُربك التلقي النفسي الجماعي لتصرفات القائد، وهذا من فقه المآل وعرف الناس في الحكم على الظواهر[4].

ثالثًا: ضوابط فهم المقاصد النفسية في سياق السنة النبوية:

يُشكّل الفهمُ المقاصديُّ للسنة النبوية إطارًا منهجيًّا ضروريًا في الدراسات الشرعية، لا سيما عند محاولة استكشاف الأبعاد النفسية الكامنة في الخطاب النبوي، إذ إن التوجيهات النبوية لم تكن مجرد تعاليمَ تشريعية مجردة، بل شكَّلت نظامًا متكاملاً يلامس جوانبَ النفس الإنسانية، ويراعي أحوال المخاطَبين واختلاف

(١) ينظر: البدر التمام للمغربي(١٠/٣٠٨).
(٢) الموافقات للشاطبي(٥/١٧٧).
(٣) أخرجه البخاري(٤/١٨٤)، ومسلم(٨/١٩).
(٤) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني(١٤/١٢٧).

طبائعهم.

ولضبط هذا الفهم في سياق علمي منهجي، تبرز الحاجة إلى اعتماد مجموعة من الضوابط التي تضمن التوازن بين ظاهر النص ومقصده، وتمنع تأويله خارج دلالاته المحتملة، ومن أبرز هذه الضوابط:

١- مراعاة حال الإنسان المخاطَب بصفته خليفة مكرّمًا: ينطلق هذا الضابط من الرؤية المقاصدية التكريمية للإنسان، كما قرره ابن عاشور، إذ يُعدّ الإنسان مستخلفًا في الأرض، وهذا يقتضي أن يكون الخطاب النبوي مراعياً لخصائص هذا الإنسان وظروفه، وعليه فإن استنباط المقاصد النفسية ينبغي أن يستحضر طبيعة المخاطَب، واستعداداته، وظروفه، ويتجنب التعميم غير المنضبط للتوجيهات الخاصة[١].

٢- الأصل في الخطاب النبوي حمله على ظاهره اللغوي ما لم يدل دليل على صرفه؛ لأن الظاهر هو الأداة الأولية للفهم، ومخالفته لا تُقبل إلا بقرينة معتبرة، وهذا منطلق أصولي قرّره الإمام الشافعي في قوله: -كل كلام كان عامًا ظاهرًا في سنة رسول الله(ﷺ) فهو على ظهوره وعمومه... «[٢].

٣- ربط السنة بين الحكم وعلّته النفسية شرط لاستنباط المقصد: النظر في العلاقة المباشرة بين الحكم وعلته المنصوص عليها، كما في قوله(ﷺ): ((إِنَّمَا جُعِلَ الاِسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ))[٣]، فالنص لا يكتفي بالأمر بالاستئذان، بل يعلله بعلة نفسية وسلوكية دقيقة، تتعلق بحفظ الحياء والخصوصية. وهذا يدل على أن فهم المقصد النفسي لا يصح إلا بالاستناد إلى العلة المنطوقة أو المفهومة من النص.

٤- استنباط المقاصد النفسية من السنة يقتضي التعامل معها بوصفها خطابًا تشريعيًا ذا بُعد مقصدي خاص: تُعدّ السنة النبوية مصدرًا أصيلاً ومستقلاً في بيان المقاصد الشرعية؛ إذ لا تقتصر وظيفتها على تأكيد ما ورد في القرآن الكريم، بل تنفرد أحيانًا ببيان حِكم وأسرار لم يرد ذكرها في النص القرآني، أو لم يُصرّح بمقاصدها، واستنادًا إلى هذا الدور التشريعي المستقل يمكن من خلاله الكشف عن الغايات النفسية والوجدانية، سواء كانت تلك الغايات منصوصًا عليها صراحة أو مستفادة ضمنًا، ما دام النص النبوي يتضمن ما يدلّ عليها لفظًا أو سياقًا[٤].

٥- استقراء الأحاديث المتعددة في الموضوع الواحد لاستنباط مقصده النفسي الشامل: يُستظهر المقصد النفسي من خلال ضم الأحاديث المتعددة في الباب، كأحاديث الرفق، ومنها قوله(ﷺ): ((إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور(١٥٨/٢)
(٢) الرسالة، الشافعي(ص٣٤١).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) علم المقاصد الشرعية، الخادمي(ص٣٤).

يُحِبُّ الرِّفْقَ))[١]؛ إذ يُثيب الله عليه ما لا يُثيب على غيره، ويتحقق به من المقاصد ما لا يتحقق بالعنف[٢].

المطلب الثاني: تجليات مقصد حفظ النفس في السنة النبوية من الزاوية النفسية.

يتجلّى مقصد حفظ النفس في السنة النبوية من خلال رؤية تكاملية تتضافر فيها الأبعاد الجسدية والنفسية والروحية، مستوعبةً حاجات الإنسان في مستوييه الفردي والجماعي، وتُقدِّم التوجيهات النبوية في هذا السياق نسقًا متكاملاً للسلامة النفسية، قائمًا على مقاربة ثلاثية: بُعدٌ وقائي يُعنى بصيانة الجسد، وبُعدٌ علاجي يستهدف معالجة جذور الاضطرابات الانفعالية، وبُعدٌ بنائي يعمل على ترسيخ ملامح الشخصية المتّزنة، وتظهر هذه الرؤية في ثلاث دوائر مركزية:

أولا: التوجيهات النبوية في تهذيب المشاعر والسلوك:

يشكّل تهذيب الانفعالات وتقويم السلوكيات مدخلاً أساسيًا لتحقيق مقصد حفظ النفس من زاويتها النفسية، وذلك عبر بناء منظومة أخلاقية تقي الفرد من الانهيارات النفسية الناتجة عن الانفعال غير المنضبط، وتُبرز السنة النبوية هذا البعد الوقائي من خلال مجموعة من التوجيهات السلوكية التي تستهدف ضبط المشاعر دون إنكار فطريتها، بل بترشيدها وتقويم آثارها، ويأتي حديث النبي(ﷺ) حين سأله رجل: ((أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ لَا تَغْضَبْ))[٣]، نموذجًا دالًا على هذا المسار التربوي المتدرج.

فقد يتوهم المكلف أن الشارع قد كلفه بما لا يطيق، أو بما لا يستطيع فعله، فحين سأل رجل النبي(ﷺ): أوصني يا رسول الله، فالنبي(ﷺ) لا يقصد من المكلف أن يترفع عن فطرته التي جبل عليها الإنسان كالحب والكره وغيرهما من الصفات الفطرية، إنما كان الطلب بما يطاق وما هو في وسع المكلف فعله[٤].

وقد فسر ابن رجب الحنبلي هذا التوجيه النبوي تفسيرًا نفسيًا سلوكيًا دقيقًا، فذكر أن النهي عن الغضب يحمل معنيين متكاملين: أولهما، الأمر بالأسباب المؤدية إلى حسن الخلق، كالسخاء، والحلم، والحياء، والتواضع، والصفح، وكظم الغيظ، وطلاقة الوجه، وغيرها من الأخلاق الجميلة التي إن اعتادتها النفس صارت مانعًا من ثوران الغضب عند أسبابه؛ وثانيهما، النهي عن العمل بمقتضى الغضب إذا وقع، والحث على مجاهدة النفس ومنعها من التصرفات التي يُمليها الانفعال، لأن الغضب إذا استولى على الإنسان صار

(١) أخرجه البخاري(١/٣٤٥١).
(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي(١٦/١٤٥)
(٣) أخرجه البخاري(٨/٢٨).
(٤) مقاصد الشريعة عند ابن قيم الجوزية، الجندي(ص٤٣٩).

له بمثابة الآمر والناهي(١).

ثانيًا: حماية النفس من الانهيار واليأس والقلق.

تؤسس التوجيهات النبوية لمنظور إيماني إيجابي في التعامل مع الأزمات النفسية، ينطلق من الاعتراف بضعف الإنسان أمام الشدائد، ويوجهه نحو مسارات النجاة والطمأنينة، بعيدًا عن مشاعر الانهيار واليأس، وتقدّم السنة النبوية هذا المنظور باعتباره استجابةً واعية لاختبارات الابتلاء، تُفعَّل فيها السكينة كجند داخلي يسكن القلب، ويقاوم الاضطراب والانفعال.

وقد فصّل ابن القيم هذا المعنى ببيان أن السكينة منزلة إيمانية يسكبها الله في القلوب عند اشتداد الفتن، تثبيتًا ورحمةً، لتقابل بها حمية الجاهلية وتُحفظ بها النفس من التهلكة الداخلية، مستشهدًا بآيات الحديبية التي نزلت في أدقّ لحظات القلق الجماعي: ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾(الفتح:١٨)، فالإيمان في المنظور النبوي لا يكتفي بوصف الأزمات، بل يبني داخل النفس مناعة روحية تُستثمر فيها الاستعاذة، والتحصينات، والإيجابية الإيمانية كوسائل لحفظ النفس من التصدّع(٢).

ويضيف الريسوني أن هذه الآفات -الهم والحزن، والعجز والكسل- تشترك في كونها تؤدي إلى «الشلل في الإرادة والمبادرة والفعل»، وهو ما يجعل المداومة على هذا الدعاء «زادًا ودواءً يوميًا»، إذ تولّد في النفس نفورًا من هذه المثبطات يبعث على اجتنابها ومقاومتها، مشيرًا إلى أنها من أبرز أسباب الاكتئاب والانحطاط الخلقي والاجتماعي(٣).

وفي هذا السياق يتكامل المنظور النبوي بين ترسيخ الإيجابية الإيمانية والواقعية النفسية، بل ويُوجَّه إلى عدم اليأس من الرحمة حتى في سياق الموت: ((لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ))(٤)، هذه التوجيهات كلها تشكّل نظامًا وقائيًا وعلاجيًا يربط بين الإيمان السلوكي وصحة النفس، ويحقق مقصد حفظها من الزاوية النفسية على نحو متكامل.

ثالثا: المنهج النبوي في علاج النفس باختلاف أحوالها:

يتميّز المنهج النبوي في علاج النفس، بوعي تربوي منهجي، تراعي اختلاف أحوال الناس وتنوع انفعالاتهم، فلا يتبع نمطًا علاجيًا واحدًا، بل يتبدل بحسب حال الشخص وظرفه، ويعكس هذا التنوّع

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب(١/ ٣٦٣).
(٢) ينظر: إعلام الموقعين ابن القيم(٤/ ١٥٥).
(٣) مدخل الى مقاصد الشريعة، الريسوني(ص٥٥، ٥٦).
(٤) أخرجه مسلم(٨/ ١٦٥).

فقها نبويًا عميقًا بفطرة النفس الإنسانية، وفقهًا عمليًا يُنزِّل التوجيه بحسب الحاجة واختلاف النفوس.

ويتّسم المنهج النبوي في علاج النفس بمرونة تربوية تراعي الفروق الفردية، فتُنزل التوجيهات بحسب الحالة النفسية والسياق الاجتماعي، جامعًا بين ثوابت المقاصد ومتغيّرات الوسائل، وقد اعتمد أسلوب القدوة، والتدرّج، وتحفيز التفكير، مع مراعاة الفئة العمرية والجنس، فخاطب النفوس الغاضبة بما يهدّئها، والحزينة بما يواسيها، والخائفة بما يطمئنها، وشمل الرجال والنساء والصغار، فربّى الجميع بمنهج متوازن يجمع بين القول والعمل، والموعظة والحكمة، ما جعل أثره النفسي والتربوي عميقًا ومستدامًا، محققًا مقصد حفظ النفس في أبعاده الشاملة(١).

كما يظهر هذا المنهج جليًّا في استقباله(ﷺ) للسائلين، إذ كان يُجيب كلَّ سائلٍ بحسب حالته النفسية والعقلية، مراعيًا مستوى إدراكه، وطبيعة شخصيته، وسياق سؤاله، متمثلاً بذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل:١٢٥)، وهي دعوة إلى سلوك الطريق الأقوم في مخاطبة الخلق، عبر استخدام الحكمة المناسبة للمقام، والموعظة التي تلين القلب دون عنف أو فظاظة(٢).

بناء على ما سبق قد يبدو أن المنهج النبوي في علاج النفس بوصفه نموذجًا متكاملاً يجمع بين الفهم العميق للطبيعة البشرية، ومراعاة التنوع الفردي، وتكييف التوجيه وفق مقتضى الحال، وقد اتسم هذا المنهج بالجمع بين المقاصد الثابتة والوسائل المتجددة، مستندًا إلى الحكمة والموعظة، ومؤسسًا لتربية نفسية شاملة تُعلي من كرامة الإنسان وتراعي احتياجاته، مما يرسّخ أثره التربوي والنفسي في حياة الأفراد.

المبحث الثاني:
المقاصد النفسية في السنة النبوية، رؤية تحليلية في ضوء الواقع المعاصر.

يُعدّ البُعد النفسي أحد المحاور الرئيسة في التوجيهات النبوية، حيث تتناول السنة جوانب النفس البشرية بانفعالاتها وأزماتها وتطلعاتها، ويسعى هذا المبحث إلى تحليل بعض المقاصد النفسية المتجلية في النصوص النبوية، في ضوء التحديات النفسية المتنامية في الواقع المعاصر، وذلك من خلال مطلبين رئيسين.

(١) ينظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد شُهبة(٢/ ٦٣١ ٦٣٢).
(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري(٢/ ٦٤٤).



المطلب الأول: معالجة السنة النبوية لمظاهر الخلل النفسي.

تتناول السنة النبوية مظاهر الخلل النفسي بمنهج متكامل، لا باعتبارها أعراضًا عارضة، بل بوصفها قضايا تمس الإنسان واستقراره، وتُبرز النصوص النبوية خطابًا متزنًا يجمع بين التعاطف والتقويم، تحقيقًا لمقصد حفظ النفس، يُعرض هذا المطلب في ثلاث نقاط: الحزن والاكتئاب، والأمل والتوازن، والعنف والانتحار.

أولا: التوجيه في مواجهة الحزن والاكتئاب:

عالجت السنة النبوية الحزن بوصفه حالة إنسانية طبيعية، تحتاج إلى تكييف شرعي ونفسي متزن، وقد تنوعت الأحاديث في توجيه المسلم للتعامل مع مشاعر الاكتئاب بما يحفظ توازنه الإيماني والنفسي، منها الحديث النبوي الشريف: ((مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ (حَزَنٍ) وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ))[(١)].

يُعدّ هذا الحديث من النصوص ذات الدلالة النفسية البارزة في مقاصد السنة النبوية، إذ يشير إلى الاعتداد الإلهي بالحالة الشعورية للمؤمن، مهما دقّت أو تعاظمت، وعدّها من أسباب التكفير والتطهير، ويظهر من تمييز النبي(ﷺ) بين الهمّ والغمّ والحزن إدراك دقيق لطبيعة الانفعالات النفسية، وهو تصنيف نفسي بالغ الدقة، وفي هذا الحديث بيان لطيف لمقصد حفظ النفس من حيث تسكين آلامها بمعنى الثواب، وتفسير الابتلاء بأنه باب ترفيع وتهذيب، لا مجرد عقوبة أو إهمال، مما يُسهم في التخفيف النفسي ويصنع توازنًا وجدانيًا عند المصاب[(٢)].

ويؤكد ابن القيم هذا المعنى حين يقرر أن الحزن قد يكون سببه ومصدره محمودًا شرعًا، كأن ينشأ عن تقصير العبد في الطاعة أو تفريطه في حقوق الله، أو حزنه على معصية سابقة أو ضياع زمن ثمين، وهذا مما يُثاب عليه باعتباره من البليات التي لم يخترها العبد ابتداء، فكان الثواب عليها من باب العدل الإلهي والرحمة، ومن هنا تتجلّى حكمة التشريع النبوي في التفريق بين ما يُطلب فعله وما يُحتسب وقوعه، مما يعكس فهمًا دقيقًا لبنية النفس وسبل إصلاحها، ويُبرز عمق السنة النبوية في ترسيخ مقاصد نفسية توازن بين التعبّد والتزكية والتخفيف النفسي[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري(٧/١٤٨)؛ ومسلم(٨/١٦).
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة(٦/٢٥٢ ٢٥٣).
(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم(ص٢٧٩).

ثانيا: السنة في تقوية الأمل وترسيخ الطمأنينة النفسية:

يُمثّل تعزيز الأمل وتحقيق الطمأنينة النفسية مقصدًا واضحًا في معالم الهدي النبوي، حيث تتضافر النصوص النبوية في غرس معاني الرجاء، وتثبيت النفس على معاني الرحمة، ويُعدّ من النصوص العميقة في هذا الباب، الحديث القدسي الذي رواه أنس رضي الله عنه عن النبي(ﷺ)، أن الله تعالى قال: ((قَالَ اللَّهُ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي...))، إلى آخر الحديث[١]، وهو حديث تتراءى فيه تجليات العفو الإلهي والرحمة العظمى في أوسع صورها، مما يُشبع النفس رجاءً، ويُطفئ نيران اليأس، ويملأ القلب طمأنينة، وقد عبّر الإمام الصنعاني عن هذا المعنى بقوله: «استدعاء الاستغفار المغفرة يستوي فيه القليل والكثير»، مما يعني أن رحمة الله تستوعب الذنوب جميعًا، ولا يُشترط في ذلك عدد أو حجم[٢].

ويعضد هذا المعنى القرآني الجليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾(الزمر:٥٣)، وهي الآية التي وصفها العلماء بأنها أرجى آية في كتاب الله، لما تضمنته من أعظم بشارة: فهي تنادي المسرفين، وتفتح لهم باب التوبة والرجاء على مصراعيه، وتنهى عن القنوط في أبلغ أسلوب، مؤكدة شمولية المغفرة لكل الذنوب إلا الشرك. وقد وصف الشوكاني هذه الآية بأنها تبعث على الطمأنينة وتُزيل الهواجس، لما فيها من تأكيدات لفظية ومعنوية على شمول الرحمة الإلهية ودوامها[٣].

ومن خلال هذه النصوص وغيرها، يتضح أن السنة النبوية تقصد إلى ترسيخ الطمأنينة النفسية، عبر تنمية الأمل المشروع، وربط النفس بحقائق المغفرة والرجاء، والتربية على الفأل الحسن، بما يُحصّن النفس من الغلوّ في الخوف أو الانغلاق على الشعور بالذنب، ويهيّئها لحياة متوازنة، تُحقّق مقصود الشريعة في حفظ النفس من الانهيار.

ثالثًا: محاربة العنف والانتحار من منظور نبوي.

تُبرز السنة النبوية موقفًا حاسمًا تجاه العنف الموجّه إلى النفس، سواء كان في صورة إيذاء جسدي أو انتحار تام، وذلك انطلاقًا من مقصد حفظ النفس بوصفه مقصدًا ضروريًا تُبنى عليه الأحكام الشرعية؛ فمن النصوص النبوية ذات الدلالة العميقة في هذا الباب، ما رواه البخاري عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: ((كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزِعَ فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ قَالَ اللهُ تَعَالَى

(١) أخرجه الترمذي(٥/ ٤٤٠) وقال: هذا حديث حسن غريب.
(٢) ينظر: التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، الصنعاني(٨/ ٣٠).
(٣) ينظر: فتح القدير، الشوكاني(٤/ ٥٣٨).

(عَزَّ وَجَلَّ) بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ))[١].

ويُفهم من هذا الحديث النهي عن التعدي على النفس؛ لأن النفس أمانة لا يملك الإنسان حق إنهائها، ولو بدافع الألم أو الضيق، وقد جاء الوعيد الإلهي في هذا السياق مؤكدًا حرمة هذا الفعل وتبعاته الأخروية، ومن هذا المنطلق، قرر علماء الأصول والمقاصد أن إيلام النفس أو إتلاف شيء من أعضائها لا يُعدّ مباحًا إلا إذا اقتضته مصلحة راجحة، كأن يُقدم الإنسان على قطع عضو أو كي جزء منه أو غرز إبرة فيه دفعًا لمفسدة أعظم، أو تحصيلاً لمصلحة أعلى، ويدخل هذا في قاعدة ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما، أو جلب أعلى المصلحتين بتفويت أدناهما[٢].

وتأسيسًا على هذا، فإن مقاصد الشريعة في حفظ النفس لا تقتصر على صيانتها من الهلاك المادي فحسب، بل تشمل حمايتها من العدوان الذاتي والتعدي المعنوي، وقد بيّن السعدي في تفسيره أن الإلقاء باليد إلى التهلكة يشمل ترك ما أمر الله به مما يؤدي إلى الهلاك، أو الإقدام على ما يُفضي إلى تلف النفس، كالتغرير بها في مواضع الخطر أو اقتحام أسباب الهلاك دون ضرورة راجحة[٣].

ونبّه الشاطبي إلى أن حفظ النفس لا يخرج عن كونه من حقوق الله تعالى، التي لا يصح للمكلّف إسقاطها، حتى ولو تعلقت بحقوقه الذاتية؛ لأن في إسقاطها تفويتًا لمقصود الشارع في بقاء الحياة الإنسانية وصيانتها من الفناء أو الضرر؛ ولذلك، فإن إقدام الإنسان على إيذاء نفسه أو إزهاقها، لا يُعدّ من باب التصرف المشروع، بل هو مخالفة صريحة لمقصود الشريعة في جانب النفس، كما قرر ذلك بقوله: «فليس لأحد أن يقتل نفسه، ولا أن يُفوّت عضوًا من أعضائه، ولا مالًا من ماله[٤].

وعلى هذا يقرر ابن عاشور في حديثه عن حفظ النفس في مقاصد الشريعة أن المراد بحفظ النفس لا يقتصر على حفظها من التلف بالقصاص، بل الأهم من ذلك حفظها قبل وقوع الفوات، عبر الوقاية من الأسباب المؤدية إليه، كالأمراض النفسية أو الأوبئة، وقد مثّل لذلك بمنع عمر رضي الله عنه دخول الشام زمن الطاعون، لكون النفس المحترمة في الشريعة يجب حفظها حتى من احتمال الهلاك، بل يقرر أن إتلاف بعض الأطراف التي يؤدي ذهابها إلى انعدام المنفعة يعد في مرتبة حفظ النفس ذاتها[٥].

(١) أخرجه البخاري(٤/ ١٧١).
(٢) ينظر: التقرير والتحرير في علم أصول الفقه، ابن أمير حاج(٢/ ٢٨٠).
(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي(ص٩٠).
(٤) الموافقات، الشاطبي(٣/ ١٠١-١٠٢).
(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور(٣/ ٢٣٦-٢٣٧).

وعليه، فإن محاربة الانتحار والعنف في المنظور النبوي لا تقف عند حدود الزجر والتجريم، بل ترتكز على بناء وعي مقاصدي يرعى النفس في جميع أطوارها، ويضع الإطار التشريعي والوقائي اللازم لحمايتها، سواء من العدوان الخارجي أو من النزعات الداخلية التي قد تدفع إلى إيذائها أو إفنائها.

المطلب الثاني: آثار تطبيق المقاصد النفسية.

تطبيق المقاصد النفسية التي تعني حماية الفرد من المضار النفسية له آثار إيجابية على الفرد والمجتمع، من هذه الآثار:

أولا: مساهمة المقاصد النفسية في العلاج النفسي الإسلامي وتأمين صحة نفسية جيدة.

تُعدّ المقاصد النفسية جزءًا أساسيا من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، فمن خلال فهم هذه المقاصد يمكن تطوير رؤية علاجية نفسية قائمة على التوازن بين الجوانب الجسدية والنفسية والروحية، وتوجيه الأفراد نحو السلوكيات التي تحقق الاستقرار النفسي، بناء على ذلك يمكن الإشارة إلى مساهمة المقاصد النفسية وآثارها في العلاج النفسي الإسلامي(1):

١- تحقيق الطمأنينة والسكينة النفسية بتعزيز الإيمان بالله: لا شك أن الينبوع الأول للسعادة هي سكينة النفس، ومصدر هذه السكينة هو الإيمان الصادق العميق بالله تعالى، يتسلى به الحزين، ويطمئن عنده القلق، ويقوي به الضعيف، ويهتدي به الحيران، وهذا مقصد من مقاصد الشريعة، فالشريعة تسعى لتأمين حياة الإنسان إلى الأفضل، وذلك من خلال تعزيز الأبعاد النفسية كالإيمان بالله وتقوية الصلة به، والقرآن الكريم يبعث الاطمئنان في النفس، وترسخ في نفس الإنسان أن كل الأحداث لا تقع اعتباطا، بل بغاية من الله، فالإيمان له دور كبير في إزالة القلق والضغوط النفسية، ويشير القرآن إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾. (التوبة: ٥١).

٢- التركيز على الوقاية من الأمراض النفسية: فالشريعة الإسلامية تحثنا على الوقاية من الأمراض النفسية من خلال ممارسة الشعائر الدينية، فالصلاة مثلاً من بواعث السكينة النفسية، فبها يرتقي روح الإنسان ويفرغ فيها من شواغله في دنياه، ليقف بين يدي ربه ومولاه ليكلّمه، وفي هذا الاتصال يأخذ المرأ قوة نفسية وطمئنينة روحية، فبها تشعر بأنك لست منفرداً بحل مشكلاتك وهمومك.

٣- تزكية النفس وتخليتها من الرذائل وتحليتها بالفضائل: كالصدق والقناعة والتعاون والصبر، وكل هذه الخصال تشجع على إنماء الشخصية واكتمالها بقصد السعادة النفسية، حيث إن تزكية النفس تعمل على

---

(1) ينظر: الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي(ص٩٥،١٢٧،).

تهذيب الجوانب الداخلية للإنسان، مما ينعكس إيجابياً على حياته اليومية وعلاقاته بالآخرين، فالسعادة الحقيقية والنجاح مرهونان بقدرة الإنسان على تهذيب نفسه وتطهيرها، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، (الشمس: ٩،١٠)(١).

بناء على ما تقدم قد تبين لنا أن المقاصد النفسية تساهم في تعزيز العلاج النفسي، وذلك من خلال الإيمان اليقيني بالله لتحقيق الطمأنينة، وتساهم في الوقاية من الأمراض النفسية عبر الشعائر الدينية كالصلاة، وتساهم أيضا في تزكية النفس بالفضائل، مما يؤدي إلى استقرار نفسي وسعادة حقيقية متوازنة نفسيا وروحيا.

ثانيا: العلاقة بين السنة النبوية والصحة النفسية.

تتضمن السنة النبوية على العديد من التوجيهات والأدعية والأذكار التي تعزز الاستقرار النفسي، وتساعد على الوقاية من الاضطرابات والمشكلات النفسية، فهي ليست مجرد عبادات روحية، بل أسلوب حياة يعزز التوازن النفسي، وفيما يلي تفصيل لهذه العلاقة مدعوما بالأمثلة في السنة النبوية(٢):

١- تقوية الصلة بالله بالأذكار والأدعية: فالذكر له تأثير نفسي ويعزز الإحساس باطمئنينة والأمان، ويقلل الحزن والاكتئاب، ويعالج القلق مباشرة، فقد ورد في السنة أدعية كثيرة لحفظ النفس والروح، وهذا يؤكّد لنا أن الدعاء له تأثير فعال على الصحة النفسية، والداعي إذا دعا بها يُحفظ من كل ما يكدّر عيشه، ومن الشيطان ووسوسته وكيده، ومن هذه الأدعية قوله(ﷺ): {اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ}(٣)، فهذا الدعاء له تأثير نفسي ويعالج أسباب القلق والاكتئاب.

٢- تحسين العلاقات الاجتماعية: ومن الأسباب التي لها تأثير مباشر على الصحة النفسية هي التواصل والعلاقات مع الآخرين، وقد شجّعنا النبي(ﷺ) على التواصل الاجتماعي والتراحم بالناس وتعاضدهم، حيث يقول: {مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى}(٤)، هذا التعاطف يساعد الناس في التكيف مع الضغوط يقلل الشعور بالوحدة.

٣- الصبر على الابتلاءات: لا يخلو حياة الإنسان من مصيبة أو مرض، فالمصائب والمحن لها تأثير على الصحة النفسية، ومن يقابل المحن والمصائب بالصبر يتمتع بقدر كبير من الطمئنينة والصحة النفسية،

(١) ينظر: مقالة/ تأثير الدين الإسلامي على الصحة النفسية، - عزدين.
(٢) ينظر: دور السنة النبوية في تعزيز الصحة النفسية، - بن عبد الله.
(٣) أخرجه البخاري(١/ ٣١٩٨).
(٤) أخرجه مسلم(٨/ ٢٠).

ويؤكد السنة أثر الصبر وأهميته على النفس، وقد تعجّب الرسول(ﷺ) لأمر المؤمن في ذلك، حيث يقول: {عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ}(١)، فالحديث يعلّمنا كيفية التعامل مع المصائب وتقبل الأزمات دون انهيار نفسي.

٤- تعزيز التفكير الإيجابي بالنهي عن التشاؤم: ومما يقلل من الاكتئاب والوساوس هو الدعوة إلى التفاؤل وعدم التشاؤم، وأن التفاؤل أسلوب مهم لعلاج الكثير من الأمراض النفسية، والدماغ يكون في حالة استقرار عندما يكون متفائلا، والتفاؤل يزيد من مقاومة الجسم للأمراض، والمتفائلون أكثر صحة من المتشائمين(٢).

مثال ذلك قوله (ﷺ): {لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ، قَالُوا وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ}(٣)، الحديث ينهانا عن التشاؤم ويدعونا إلى التفكير الإيجابي، وذلك لقليل الاكتئاب والوساوس.

من خلال ما مضى يبدو لنا أن السنة النبوية تعزز الصحة النفسية من خلال العلاقات الاجتماعية وتشجيع الناس على الأذكار والأدعية التي تمنح الطمأنينة، والحث على الصبر أمام الابتلاءات، ونشر التفاؤل لمحاربة الوساوس والتشاؤم، وذلك لتحقيق توازن نفسي وروحي في حياة الناس.

ثالثا: دور المقاصد النفسية في تقوية مناعة المجتمع ضد الانحراف الاضطراب.

توظيف المقاصد النفسية في بناء منظومة وقائية -ضد الانحراف والاضطراب- يمثل خطوة جوهرية نحو تحقيق مجتمع متماسك، ويُسهم في تقليل الاكتئاب والقلق وتحسين جودة الحياة في المجتمع بشكل عام، وينهض بأفراده نحو السكينة والإيجابية والفاعلية، وفيما يلي تفصيل في كيفية توظيف المقاصد النفسية ضد الاضطراب والانحراف(٤):

١- تحديد الأسباب النفسية للمشكلات المجتمعية، كالانحراف وخروج الأفراد عن المعايير الاجتماعية والدينية، مثل الإدمان والعنف والقلق والاكتئاب وغيرها، وتحديد العوامل التي تساهم في ظهور هذه المشكلات وتؤثر على سلوك الأفراد.

٢- الإكثار من طرق التوعية والتثقيف الديني والثقة بالنفس، وإنشاء برامج وقائية، وتوفير الإرشاد

(١) أخرجه مسلم(٨/٢٢٧).
(٢) ينظر: الصحة الجسدية والنفسية في السنة النبوية، شروق الزعتري(ص١١).
(٣) أخرجه البخاري(١/٢٩٣٨).
(٤) ينظر: أثر تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في الوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية، د. دسوقي يوسف.



النفسي والتوعية النفسية، حيث إن تقوية النفس بالتوعية والإرشاد والتثقيف تتكون لديه مناعة ذاتية تحميه من الاضطرابات النفسية.

٣- زيادة التثقيف الاجتماعي والصحي، وذلك من خلال الوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وكذلك بيان خطورة المؤثرات العقلية الكئيبة على الفرد والمجتمع عن طريق رجال التعليم والدعاة، حتى يتمكن المجتمع من منع الإقبال على المؤثرات العقلية والعنف والإدمان.

٤- دعم الجانب الروحي بالتأمل والعبادة والذكر، ومحاربة الوساوس النفسية بالإيمان اليقيني والحوار العقلي، وتعزيز المناعة الفكرية عبر خطاب شرعي متزن.

٥- تنمية التفكير الإيجابي، فعندما يكون الفرد لديه القدرة على تطوير التفكير الإيجابي يساعده في تقليل تأثير الأفكار السلبية والعوامل التي تدفعه إلى الانحراف، فعدم القدرة على اتخاذ القرار وعدم الرضا عن النفس من أهم العوامل النفسية المؤدية للسلوك الانحرافي لدى الفرد[١].

إذن أن توظيف المقاصد النفسية يساهم في تقوية مناعة المجتمع ضد الاضطراب والانحراف، وتقوية التوعية الدينية والنفسية، وزيادة التثقيف الاجتماعي، وذلك من خلال تحديد أسباب المشكلات النفسية.

رابعا: التوجيه النبوي لضبط الانفعالات والسمو الروحي.

من خصائص التشريعات النبوية أنها لم تخص جانبا دون جانب، بل نجدها تشمل الفرد بجميع أحواله، سواء من الناحية النفسية أو الجسدية، وقد تجلّت لنا الرعاية النبوية -في تعاليم سننه وتشريعاته- للجوانب النفسية لا تقل عن الجوانب الجسدية، وقد تعامل النبي(ﷺ) مع حاجات الجسد والروح على أن كلا منها مؤثر في الآخر، وقد حرص النبي(ﷺ) على ضبط الانفعالات والمشاعر التي يُعبّر عنها الأفراد، كالحزن والفرح والغضب والحب وغيرها، وإذا بحثنا في سنن النبي(ﷺ) وتوجيهاته وجدنا الكثير من الأحاديث تعمل على إخضاع الانفعالات وضبطها وتهذيبها، وفيما يلي نشير إلى أمثلة تطبيقية في توجيهات النبي(ﷺ) لضبط الانفعالات[٢]:

١- انفعال الغضب: فمن الناس من يتملّكه الغضب فينفعل بسلوك خاطئ؛ لأن انفعال الغضب مشوش على التفكير، ولهذا حذّر النبي(ﷺ) أن الغضبان -حال غضبه- غير صالح للتصرف، فمنع النبي(ﷺ) القاضي الغاضب من الحكم بين المتخاصمين حتى ينتهي قضبه، فيقول: {لَا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ

(١) ينظر: العوامل المؤدية للسلوك الانحرافي وانعكاسها على الأمن المجتمعي، د. علاء زهير، و د. سعيد ناصف(ص ٣٠)

(٢) ينظر: المنهج النبوي في التعامل مع الانفعالات والاضطرابات النفسية، عبد الرحمن معاشي؛ والمقالة: ضبط الانفعالات النفسية في السنة، إسلام ويب؛ ومقصد حفظ الصحة النفسية من خلال السنة النبوية، الطاهر براخلية(ص٦٥٣).

اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ}(١)، ويبدو من هذا التوجيه النبوي أن النهي ليس متوجها إلى الغضب من حيث إنه انفعال فطري، بل متوجه إلى السلوكيات الناشئة عن الغضب وآثاره.

٢- انفعال الخوف: فالإنسان بفطرته يخاف من أمور كثيرة، فالخوف قد يقود الإنسان إلى تصرفات إيجابية، وقد يقوده إلى تصرفات سلبية، فالخوف من الله يقوده إلى طاعته واجتناب نواهيه، والخوف من المرض يدفعه للوقاية والعلاج، وقد جاء في السنة النبوية ما يوجه المسلم نحو خوف تعبدي من الله، لكي يمنعه من فعل المعاصي واقتحام الفواحش، وفي ذلك يقول الرسول(ﷺ) في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله: {وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ}(٢)، والذي يوصل الانسان إلى هذه المرتبة العظيمة هو البعد عن اقتحام الفاحشة وذلك بسبب الخوف من الله.

٣- انفعال الحسد: والحسد انفعال سلبي يشعر فيه الإنسان بالغيرة وكراهية رؤية غيره أفضل منه في نعمة ما، لذلك يتمنى زوالها عن الغير والحصول عليها، وقد حذّرنا النبي(ﷺ) من تأثير الحسد على الحسنات، وشبهه بالنار التي تأكل الحطب، أي أن الحسد يأكل الحسنات هكذا، ويقول أيضا أن الإيمان والحسد لا يجتمعان في قلب واحد، لذلك ينهانا عن الحسد بقوله(ﷺ): {لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا}(٣).

٤- انفعال الحزن: وهذا الانفعال مضاد للسرور والفرح، وهو يحدث إذا فقد الإنسان ما لديه من الأشياء القيمة، وتوجيه النبي(ﷺ) في مواجه الحزن كان دائما نحو الصبر والثبات والتوكل على الله، فعندما مات إبراهيم ابن النبي(ﷺ)، حزن ولكن لم ييأس، بل صبر واعتمد على الله في فرج هذه المحنة، وقال في ذلك الحزن: {إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ}(٤).

في ضوء ما تقدم يمكن القول بأن مثل هذه التوجيهات النبوية قد تعالج الانفعالات بضبطها وتهذيبها، فقد حذّر من التصرف حال الغضب، ونهى عن الحسد لما له من أثر سلبي على النفس والإيمان، ودعا إلى الخوف الإيجابي من الله، ووجه لمواجه الحزن والهم بالتوكل والصبر، وهذه كلها مما تقوي الاتزان النفسي والروحي.

(١) أخرجه البخاري(١/٣٥٦٥).
(٢)) أخرجه البخاري(١/٣٠٤).
(٣) أخرجه مسلم(٨/٩).
(٤) أخرجه البخاري(١/٥٨٩)؛ والصحة الجسدية والنفسية في السنة النبوية، للزعتري(ص١٢٢).

خاتمة البحث

بعد هذا الاستعراض التفصيلي لمفهوم المقاصد النفسية وعلاقتها بالسنة النبوية يتضح أن الشريعة الإسلامية قد اهتمت بالجانب النفسي اهتماما بالغا، باعتباره ركيزة أساسية في تحقيق التوازن الروحي والاجتماعي للإنسان، فقد تناول البحث تعريف المقاصد النفسية، وبيَّن ارتباطها الوثيق بالمقاصد الكلية للشريعة، كما كشف عن الدور السنة النبوية في تأصيل هذه المقاصد وتجسيدها عبر توجيهات عملية تعالج الاضطرابات النفسية وتقوي الصحة العقلية والروحية، ويهتم البحث بتحقيق المقاصد النفسية من خلال: المنهج الوقائي، كالتحذير من الحسد والغضب، والمنهج العلاجي، كترسيخ الأمل عبر الأدعية، والمنهج البنائي، كضبط الانفعالات عبر توجيهات النبوية.

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث:

١- إن المقاصد النفسية تمثل غايات شرعية تهدف إلى تقوية الصحة النفسية عبر الشعائر الدينية كالصلاة، وتحقيق الطمأنينة والاستقرار الداخلي، وحماية الإنسان من القلق والاكتئاب، مما يجعلها جزءاً لا يتجزأ من مقاصد الشريعة العليا.

٢- قدمت السنة النبوية منهجاً متكاملاً لتقوية مناعة المجتمع ضد الانحرافات -كالإدمان والعنف- وضبط الانفعالات وعلاج الاضطرابات النفسية، من خلال مواقف عملية وأدعية والتوجيهات الأخلاقية والتربية على القيم.

٣- إن حفظ النفس في الإسلام لا يقتصر على الجانب الجسدس فقط، بل يشمل الجانبين المادي والمعنوي، حيث حرصت الشريعة على وقاية الفرد من العنف والانتحار، وغرس الأمل والتفاؤل في نفسه.

أما التوصيات التي يقدمها البحث، فتشمل:

- تفعيل المقاصد النفسية في الخطاب الديني المعاصر وربطها بالتحديات النفسية التي يواجهها الإنسان اليوم، مثل الاكتئاب والضغوط الاجتماعية.

- الاهتمام ببرامج التوعية في المؤسسات التعليمية والدعوية، وتطوير نماذج علاجية إسلامية مستمدة من الهدي النبوي.

- توظيف البحوث العلمية -التي تستكشف الأبعاد النفسية في السنة النبوية- في مجال الإرشاد الأسري والتربوي.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مصادر البحث ومراجعه:

١- أثر تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في الوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية، د. دسوقي يوسف، مجلة أصول، العدد:٦، ٢٠٢٢م.

٢- إرشاد الفحول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني(ت:١٢٥٠هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، دار الكتاب العربي، ط: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ.

٤- الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (ت: ٥٦٠هـ)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ.

٥- ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، زين حسين، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٩م.

٦- الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة - لبنان، ١٩٧٩م.

٧- البدرُ التمام شرح بلوغ المرام الحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ، المعروف بالمَغرِبي(ت:١١١٩هـ)، تحقيق: علي بن عبد الله الزبن، دار هجر، ط: الأولى، ٢٠٠٧م.

٨- تأثير الدين الإسلامي على الصحة النفسية، - عزدين، منشورة في الموقع: المعارف الحكمية معهد الدراسات الدينية، (٢٢/١١/٢٠٢٤).

٩- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي(ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٠- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م.

١١- تصرفات الرسول بالإمامة، سعد الدين العثماني، دار الكلمة، ط: الأولى، ٢٠١٣م.

١٢- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ.

١٣- التقرير والتحرير في علم أصول الفقه، ابن أمير حاج، دار الفكر، بيروت.

١٤- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت:



٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.

١٥- التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت:١١٨٢هـ)، تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط: الأولى، ١٤٣٢هـ.

١٦- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت:٢٨٢هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٢٠٠١م.

١٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي(ت:١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ.

١٨- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٧ه.

١٩- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة، بيروت.

٢٠- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي(ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: السابعة، ١٤٢٢هـ.

٢١- حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ«الشاه ولي الله الدهلوي»(ت:١١٧٦هـ)، تحقيق: السيد سابق، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

٢٢- الحديث والمحدثون ، محمد محمد أبو زهو، دار الفكر العربي-القاهرة. ط: الثانية ١٣٨٧ه.

٢٣- دور السنة النبوية في تعزيز الصحة النفسية، - بن عبد الله، مجلة الدراسات العربية: ٥١، عدد:٤، كلية دار العلوم- جامعة المنيا، يناير، ٢٠٢٥م.

٢٤- الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت:٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط: الأولى ١٣٥٨هـ.

٢٥- روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي(ت:٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ.

٢٦- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت:٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

٢٧- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي(ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.

٢٨- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد شُهبة، دار القلم، دمشق، بيروت، ، ط: الثانية، ١٤١٢هـ.

٢٩- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشفعي(ت:٧٩٢ هـ)، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٠- شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي(ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.

٣١- شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل(ت:٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر،ط: الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٢- شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا(ت: ٨٥٤ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، ط: الأولى، ١٤٣٣هـ.

٣٣- الصحة الجسدية والنفسية في السنة النبوية، شروق الزعتري، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الخليل- فلسطين، ١٤٣٩هـ.

٣٤- الصحة النفسية والجسدية نصائح فعالة لتحقيق التوازن، إصدار: موقع الموسى الصحية، ٢٠٢٥م.

٣٥- صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ.

٣٦- ضبط الانفعالات النفسية في السنة، إسلام ويب، منشورة في الموقع: إسلام ويب، ٢٠٢٤م؛ ومقصد حفظ الصحة النفسية من خلال السنة النبوية، الطاهر براخلية، مجلة الجامع في الدراسات النفسية، (مجلد:٨،



العدد:١)، ٢٠٢٣م.

٣٧- طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط: الثانية، ١٣٩٤هـ.

٣٨- علم المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان، ط: الأولى ١٤٢١هـ.

٣٩- العوامل المؤدية للسلوك الانحرافي وانعكاسها على الأمن المجتمعي، د. علاء زهير، و د. سعيد ناصف، مجلة العلوم الاجتماعية،(مجلد:٥، العدد:٢)، ٢٠١٩م.

٤٠- غاية الوصول في شرح لب الأصول، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السبكي(ت: ٩٢٦هـ)، دار الكتب العربية الكبرى- مصر.

٤١- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني(ت:١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط: الأولى - ١٤١٤هـ.

٤٢- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر - بن يعقوب الفيروزآبادى(ت:٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦هـ.

٤٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

٤٤- كليات مقاصد الشريعة، د. حسن سلمان، رابطة علماء أرتريا، ٢٠٢٢/٨/٢٦).

٤٥- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت:٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: ثانية: ١٤٠١هـ.

٤٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى(ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤هـ.

٤٧- مدخل الى مقاصد الشريعة، أ.د. أحمد الريسوني، ط: الاولى ٢٠١٣م، دار الكلمة.

٤٨- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ.

٤٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، - فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، ط: الأولى، ١٩٩٨م.

٥٠- معجم مقاييس الغة، أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، المحقق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد

الكتاب العرب، ط: ١٤٢٣هـ.

٥١- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني(ت:٥٠٢ه)، الحقق: صفوان عدنان، دار القلم+ دار الشامية -دمشق، ط: الأولى، ١٤١٢ه.

٥٢- مقاصد الشريعة الإسلامية، عمر -، دار المكتبي، ط: الأولى، ٢٠٢٣م.

٥٣- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت:١٣٩٣هـ)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ.

٥٤- مقاصد الشريعة عند ابن قيم الجوزية، الدكتور سميع عبدالوهاب الجندي، ط: الاولى، ٢٠١٣م، بيروت، لبنان.

٥٥- المناعة النفسية، حنان الحربي، منشورة في موقع: مطمئنة، ٢٠٢٥م.

٥٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي(ت:٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، -بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢ه.

٥٧- المنهج النبوي في التعامل مع الانفعالات والاضطرابات النفسية، عبد الرحمن معاشي، منشور في: المنتقى للبحوث والدراسات، (مجلد:١، العدد١)، ٢٠٢٠م.

٥٨- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي(ت:٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط: الأولى ١٤١٧هـ.